8 – قـصـيـــدة الـنـــثـــر

تَبَعًا للمحاولات العديدة التي قادها مبدعون من العرب والتي توالت عبر مدرسة الإحياء عند البارودي والأمير عبد القادر، وشعراءِ الكلاسيكية الجديدة كحافظ إبراهيم وأحمد شوقي ومحاولاتِ إرساء الشعر المرسل غير الملتزم بوزن واحد ولا قافية ...، تبعا لذلك كانت محاولاتُ التجديد في معظمها متأثرةً بأنموذج الشعر الغربي المتحرر من الوزن والقافية.

وكان كلٌّ من الأديبين (أمين الريحاني) و(جبران خليل جبران) متأثرَيْن بالشاعر الأمريكي (وَيتمان)، ويوضح الرّيحاني في مقدمة ديوانه (هتاف الأودية) أن ((هذا النوع من الشعر الجديد يدعى بالفرنسية VERS LIBRE والإنجليزية FREE VERSE أي الشعر الحر الطليق وهو آخر ما توصل إليه الارتقاء الشعري عند الإفرنج، فـ(شكسبير) أطلق الشعر الإنجليزي من قيود القافية، و (ويتمان) أطلقه من قيود العروض، على أن لهذا الشعر الطليق وزنا مخصوصا، وقد تجيء القصيدة فيه من أبحر عديدة متنوعة))، أما مساهمات (جبران خليل جبران) فقد تمثلت في دعوته إلى إلغاء الفواصل بين الأنواع الأدبية الشعرية والنثرية وكتابة أنموذج بينهما، وكذلك كانت دعوة (ميخائيل نعيمة) في (الغربال) حين يقول: ((لا الأوزان ولا القوافي من ضرورات الشعر، كما أن المعابد والطقوس ليست من ضرورات الصلاة والعبادة، فرب عبارة منثورة جميلة التنسيق، موسيقية الرنة، كان فيها من الشعر أكثر مما في قصيدة من مائة بيت بمائة قافية)).

وتعتبر مجلة (شعر) النواة الأولى التي تولدت منها قصيدة النثر، حينما صدر عددها الأول في شتاء عام 1957 بلبنان عن طريق الشاعر (يوسف الخال) بعدما عاد من الولايات المتحدة الأمريكية عام 1955، واطلع فيها على أنموذج الشعر الأمريكي من خلال ما أبدعه (ويتمان)، ومن خلال مضامين مجلة (شعر) الأمريكية...، وقد احتوى العدد الأول من مجلة (شعر) اللبنانية مجموعة من القصائد لكل من: يوسف الخال وأدونيس، وفدوى طوقان، وسعدي يوسف، وبعض الشعراء الأمريكيين ثم توقفت عن الصدور عام 1970.

وقصيدة النثر نص إبداعي يعتمد على الرؤيا التجديدية، ولا تخضع لأي وزن ثابت، وقد تلتزم ببعض القوافي المتناثرة، تحمل موضوعا واحدا تعبر عنه بواسطة لغة الصور الموحية المبتكرة...، ويمكن ضبط **خصائص قصيدة النثر** في العناصر التالية:

1- التزام الوحدة الموضوعية والعضوية: إذ تتميز بأنَّها وحدة متماسكة لا وجود لشقوق أوفجوات بين أجزائها، كما أنّ التأثير الذي تحدثه ينتج عنها بشكل كامل لا عن أحد أجزائها كالأبيات أو الألفاظ.[1]

2- الحرية: وهذا يعني تحرُّر القصيدة من أنماط التفكير الجاهزة والموروثة والتقليدية، وما يدور حولها من أحكام وقواعد، بل تعتمد على تفكير الشاعر نفسه.

3- عدم التقيد بالوزن: لا تلتزم قصيدة النثر بالأوزان التقليدية المعروفة، لذلك لا يعتبر شعراء قصيدة النثر الوزنَ شرطًا لبناء القصيدة.[2]

4- عدم التقيد بالقافية: تبتعد قصيدة النثر عن القافية الموحدة كما هي العادة في الشعر التقليدي.[3]

---

[1]ينظر: أحمد بزون: قصيدة النثر العربية، ص: 57.
[2]ينظر: نفسه، ص: نفسها.
[3]ينظر: نفسه، ص: نفسها.

5- البساطة: تعتمد قصيدة النثر على البساطة اللغوية في ألفاظها وتراكيبها، وتبتعد عن التكلف والمحسنات البديعية.

6- التكثيف: وهو طرح أفكار كثيرة بجمل قليلة بعيدًا عن الحشو والإسهاب.

7- الإيجاز: إذ لا تميل إلى التطويل كما كان سائدًا في القصيدة التقليدية، بل تكتفي بما قلَّ ودلَّ.

8- الابتعاد عن الخطاب: تبتعد عن أسلوب الخطاب وعن البهلوانية في البلاغة والصياغة.

ومن خلال ذلك يبدو أن قصيدة النثر **تختلف** عن قصيدة الشعر الحر بأنَّها لا تلتزم بالوزن ولا بالقافية في صياغتها وبنيتها، ولا ترى فيهما أية ضرورة لبناء القصيدة المعاصرة، بل تعتمد على جمالية بناء الجملة أو الفقرة، بعكس القصيدة في الشعر الحر التي تعتمد على أوزان التفعيلات وتقسيماتها، وهي التفعيلات التي اشتقت من أوزان الشعر العمودي نفسه، ولكنَّ قصيدة النثر **تُشبه** الشعر الحر في عدد من الخصائص التي تجمع بينهما ويتميزان بها عن الشعر التقليدي العمودي وهي: الاختصار والابتعاد عن الحشو والتطويل في النص، الوحدة العضوية والموضوعية، تكثيف النص، الحرية الفكرية واللغوية والخروج على الأوزان التقليدية للشعر العمودي المعروفة[4].

وكمثال توضيحي لهذا النوع من الشعر الحداثي نعرض قصيدة (الوداع) لأنسي الحاج:

كم أريتكَ لا يُخفي شيئاً هذا التمثال!
أضعُ هدوئي عليك، يا صوت الدعاء ضجيج يُذكّر
الناسين، الأمر نبرتي، أُهشّم خَطْوي وظِلّه طاب ليلكِ
أيّتها الببغاء!
أُطاردُ هذا الحُبّ

[4]ينظر: أحمد بزون: قصيدة النثر العربية، ص: 60.

أُطاردُ هذا الحُبّ
مع السماء لي زوج كلام! ستتزاحين لأنّي أعرف
عقولهم - غيَّرتُ نَعْلَ الشرّ!
أُلاحقُ امرأة.
نسيتُ:
أُهرّبُ هَدَفي، وأصِلُ قَبْلَه!

ومن الطبيعي أن يلقى هذا النوع من الشعر معارضة بعض الأعلام مثل نازك الملائكة التي عبّرت عن رفضها له حينما قالت:" إن طائفة من أدباء لبنان يدعون اليوم إلى تسمية النثر شعرًا، وقد تبنت مجلة (شعر) هذه الدعوة، وأحدثت حولها ضجيجًا مستمرًّا لم تكن فيه مصلحة لا للأدب العربي، ولا للغة العربية"[5]،ويُلاحَظ أن نازك الملائكة لم تكن راضية عن قصيدة النثر لما فيها من خلط بين الشعر والنثر كنوعين أدبيين مختلفين، كما يظهر انزعاجها في وصف دعوة أصحاب هذه القصيدة بالضجيج الخالي من المصلحة.

انتهى

[5]نازك الملائكة قضايا الشعر المعاصر ، دار العلم للملايين بيروت: (د.ت)، صفحة 214.